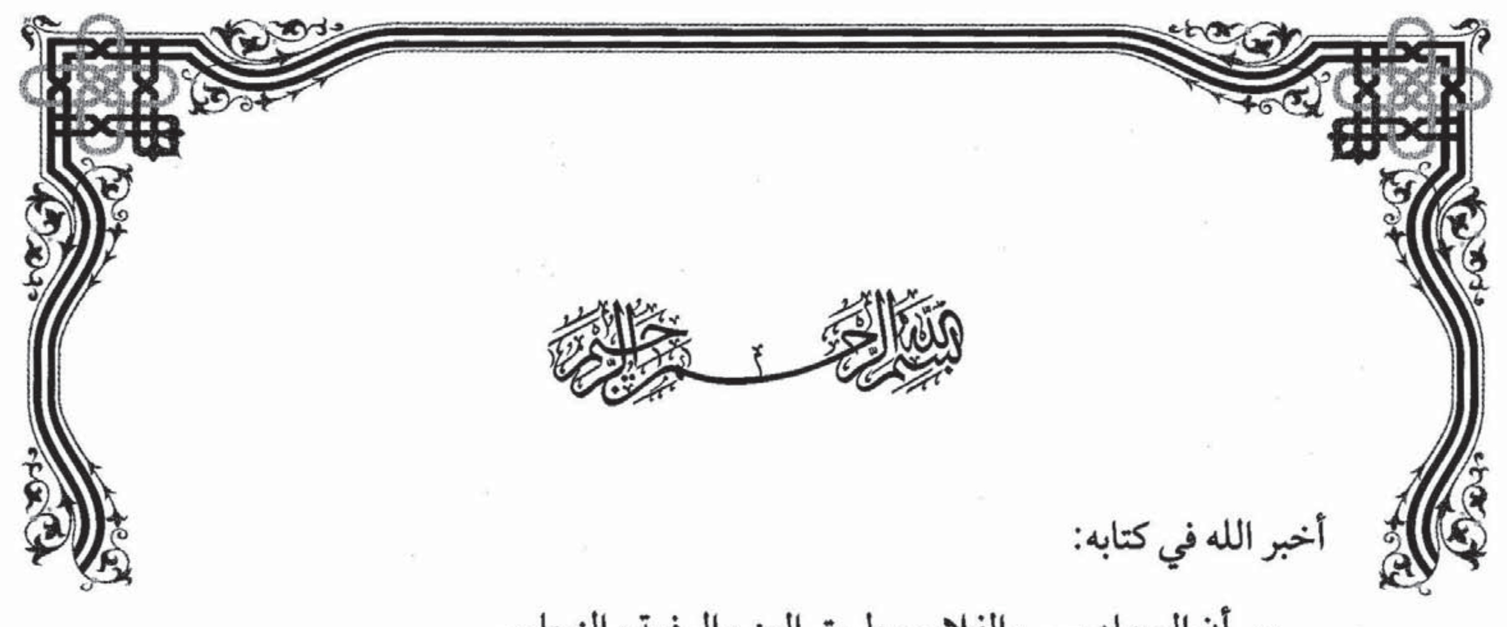
مجموع مؤلفات ابن سعدي (٧٥)

فضل الجهاد في سبيل الله

تأليف
الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر السعدي
رحمه الله

يطبع لأول مرة



أخبر الله في كتابه:

- أن الجهاد سبب الفلاح وطريق العز والرفعة والنجاح.
- وأنه أفضل التجارات الرابحة.
- وأن أهله أرفع الخلق درجات في الدنيا والآخرة.

وأخبر النبي ﷺ:

- أن بالجهاد تتم النعم الباطنة والظاهرة وهو ذروة سنام الدين[١]، وأحب الأعمال إلى رب العالمين[٢].
- وأن الروحة والغدوة، واليوم والليلة في الجهاد، ومصابرة الأعداء خير من الدنيا وما عليها[٣].
- وأنه خير من استيعاب الليل والنهار بالصيام والقيام وأنواع التعبد.
- وأن المجاهد المصابر إذا مات وجبت له الجنة[٤]، وأجري له عمله الذي كان يعمله

(١) كما في الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣).
(٢) كما في البخاري (٥٠٤)، ومسلم (٨٥).
(٣) كما في البخاري (٢٦٤١)، ومسلم (١٨٨١).
(٤) كما في مسند أحمد (٩٧٦٢) وغيره.

في الدنيا إلى يوم القيامة، وأمن من فتان القبر وعذابه[١].

- وأن ذنوبه كبارها وصغارها يغفرها الله ما عدا ديون العباد[٢].
- وأن في الجنة مائة درجة؛ ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله[٣].
- وما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار[٤].
- ومن مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق[٥]؛ أي: ومن غزا في سبيل الله أو استعد للغزو عند الحاجة إليه فقد كمل إيمانه وبرئ من النفاق.

وفضائل الجهاد لا تعد ولا تحصى، وثمراته العاجلة والآجلة لا تحد ولا تستقصى، وكيف لا يكون الجهاد في سبيل الله يحتوي على هذه الفضائل الجليلة، وفيه عز الدنيا وسعادتها، وفيه سعادة الآخرة وكرامتها؛ مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؟

كيف لا يكون بهذه المثابة وفيه عز الإسلام والمسلمين، وفيه إقامة شعائر وشرائع الدين، وفيه قمع الطاغين والمعتدين؟

- فالمجاهد قد استعد وتصدى أن يكون من أنصار الله الذابِّين عن دين الله.
- والمجاهد قد سلك كل سبيل يوصله إلى الله.
- والمجاهد قد شارك المصلين في صلاتهم، والمتعبدين في عباداتهم، والعاملين لكل خير في أعمالهم؛ لأنه لا سبيل لقيام هذه الأمور إلا بالجهاد، والذبّ عن الأوطان

---

(١) الترمذي (١٦٦٥)، والطبراني (٦٠٧٧).
(٢) ابن ماجه (٢٧٧٨)، الطبراني (٧٧١٦).
(٣) البخاري (٢٦٣٧).
(٤) البخاري (٨٦٥).
(٥) مسلم (١٩١٠).

والأديان، فلولا المجاهدون لهدمت مواضع العبادات، ولولا دفع الله بهم لتصدع شمل الدين، واستولت الأعداء من الكافرين الطاغين.

فالجهاد سور الدين وحصنه وبه يتم قيامه وأمنه، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

فيا أنصار الدين، ويا حماة المسلمين، ويا خيرة المجاهدين هذه أيامكم قد حضرت، وهذه أمم الكفر والطغيان قد تجمعت على حربكم، وتحزبت؛ فقد أتوكم في عقر داركم غرضهم القضاء التام على دينكم وأقطاركم، فانفروا لجهادهم خفافًا وثقالًا، ﴿وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

ألم تروا كيف جعل الله الجهاد دار ربح التجارات، وطريقا إلى المساكن الطيبة في جنات النعيم، ووعدهم[١] بالنصر منه والفتح القريب، والله تعالى لا يخلف الميعاد؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

قوموا بالجهاد مخلصين لله قاصدين أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، حافظوا على الوحدة الدينية والأخوة الإيمانية والحماية العربية، ولتكن كلمتكم واحدة وأغراضكم متحدة، ومقاصدكم متفقة وسعيكم نحوها واحدا؛ فإن الاجتماع أساس القوة المعنوية ومتى اجتمع المسلمون واتفقوا وصابروا أعداءهم وثبتوا على جهادهم ولم يتفرقوا، وعملوا الأسباب النافعة، واستعانوا بربهم؛ متى كانوا على هذا الوصف

---

(١) أي المجاهدين.

فليبشروا بالعز والرفعة، والكرامة؛ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥]، ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

إخواني، اعلموا أن الجهاد يتطور بتطور الأحوال، فكل سعي وكل عمل فيه صلاح المسلمين وفيه نفعهم وفيه عزهم، فهو من الجهاد، وكل سعي وعمل فيه دفع الضرر عن المسلمين وإيقاع الضرر بالأعداء الكافرين، فهو من الجهاد، وكل مساعدة للمجاهدين مالية فإنها من الجهاد؛ فمن جهز غازيًا فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا[(١)]، وإن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة؛ صانعه يحتسب فيه الأجر، والذي يساعد به المجاهدين، والذي يباشر به الجهاد[(٢)].

ومن أعظم الجهاد وأنفعه:

- السعي في تسهيل اقتصاديات المسلمين والتوسعة عليهم في غذائياتهم الضرورية والكمالية، وتوسيع مكاسبهم وتجاراتهم وأعمالهم وعمالهم.
- كما أن من أنفع الجهاد وأعظمه مقاطعة الأعداء في الصادرات والواردات؛ فلا يسمح لوارداتهم وتجاراتهم، ولا تفتح لها أسواق المسلمين، ولا يمكنون من جلبها على بلاد المسلمين، بل يستغني المسلمون بما عندهم من منتوج بلادهم، ويوردون ما يحتاجونه من البلاد المسالمة.

وكذلك لا تصدر لهم منتوجات بلاد المسلمين ولا بضائعهم وخصوصًا ما فيه تقوية للأعداء؛ كالبترول فإنه يتعين منع تصديره إليهم، وكيف يصدر لهم من بلاد المسلمين ما به

(١) البخاري (٢٦٨٨)، مسلم (١٨٩٥).
(٢) أبو داود (٢٥١٣)، النسائي (٣٥٧٨).

يستعينون على قتالهم؟! فإن تصديره إلى المعتدين ضرره كبير، ومنعه من أكبر الجهاد، ونفعه عظيم، فجهاد الأعداء بالمقاطعة التامة لهم من أعظم الجهاد في هذه الأوقات، ولملوك المسلمين ورؤسائهم - ولله الحمد - من هذا الحظ الأوفر والنصيب الأكمل، وقد نفع الله بهذه المقاطعة لهم نفعًا كبيرا أوهنت الأعداء، وأجحفت باقتصادياتهم وصاروا من هذه الجهة محصورين مضطرين إلى إعطاء المسلمين كثيرًا من الحقوق التي لولا هذه المقاطعة لمنعوها، وحفظ الله بذلك ما حفظ من عز المسلمين وكرامتهم[١].

ومن أعظم الخيانات وأبلغ المعاداة للمسلمين تهريب أولي الجشع والطمع الذين لا يهمهم الدين، ولا عز المسلمين ولا تقوية الأعداء - نقودَ البلاد أو بضائعها أو منتوجاتها إلى بلاد الأعداء، وهذا من أكبر الجنايات، وأفظع الخيانات، وصاحب هذا العمل ليس له عند الله نصيب، ولا خَلاق[٢]، فواجب الولاة الضرب على أيدي هؤلاء الخونة، والتنكيل بهم؛ فإنهم ساعدوا أعداء الإسلام مساعدة ظاهرة، وسعوا في إضرار المسلمين ونفع أعدائهم الكافرين، فهؤلاء مفسدون في الأرض، يستحقون أن ينزل بهم أعظم العقوبات.

والمقصود أن مقاطعة الأعداء بالاقتصاديات والتجارات والأعمال وغيرها ركن عظيم من أركان الجهاد، وله النفع الأكبر وهو جهاد سلمي، وجهاد حربي.

وفق الله المسلمين لكل خير وجمع كلمتهم، وألَّف بين قلوبهم، وجعلهم إخوانًا متحابين متناصرين، وأيدهم بعونه وتوفيقه، وساعدهم بمدده وتسديده؛ إنه جواد كريم رءوف رحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال ذلك وكتبه عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي.

---

(١) كما نفع الله تعالى المسلمين بانتصار المصريين على اليهود في حرب أكتوبر المجيدة بمساعدة الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله وطيب ثراه - وإخوانه من الملوك الشرفاء الذين منعوا تصدير البترول للأعداء وأمدوا الشعب المصري بكل المساعدات الممكنة.

(٢) الخَلاق: الحَظُّ والنَّصيب من الخير والصلاح.

معنى الجهاد

سؤال: نلتمس الإفادة عن تفصيل القول في معنى الجهاد في سبيل الله في هذه الأوقات.

الجواب وبالله التوفيق:

لا شك أن الجهاد في سبيل الله من أوجب الواجبات وأعلاها وهو ذروة سنام الدين ومن الأمور الضرورية لحفظ الإسلام والمسلمين، وحقيقته بذل الجهد والاجتهاد في إقامة دين الله ومقاومة أعداء الله وحفظ الدين والإسلام والمسلمين، وهذا المقصود يكون في كل وقت وزمان وحال بحسبه، تبعًا للحال والقدرة، فمنذ كان النبي ﷺ في مكة والمسلمون جهادهم في الدعوة إلى دين الله باللسان عند الإمكان والمدافعة عن أنفسهم، وقد أمروا بكف أيديهم عن أعدائهم؛ إذ الحال يقتضي ذلك فلما صارت الهجرة وكثر المسلمون واشتدت قوتهم، أذن لهم في قتال الكفار الذين يصدون عن سبيل الله بالحجة والبرهان والسيف والسنان، وهذا أمر معروف لا يحتاج إلى بيان.

أما في هذه الأوقات التي اشتدت فيها وطأة الأعداء وبهرت قوتهم وتنوع استعدادهم وارتقت مخترعاتهم والمسلمون لم يجاروهم في شيء من هذه الأمور، بل لم يزل التفرق والتدهور ينزل بهم عن مقاومة أعدائهم شيئًا فشيئًا حتى ضعف الأمل في وجود قوة كافية يضارعون بها ولو بعض الأمم الراقية، لهذا تعين على ولاة المسلمين أن يتلافوا ما أمكن تلافيه، ويتداركوا ما قدروا على تداركه من كل سبب يعين على المدافعة عن المسلمين ودينهم وحقوقهم بحسب القدرة، قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦].

ومن أعظم الأسباب اتفاق المسلمين على طلب حقوقهم واحترام دينهم وعقد المحالفات التي يندفع بها ضرر الأعداء وكذلك السعي الحثيث في تعلم الفنون الحربية والنظامات

العسكرية واجتلاب الأسلحة العصرية التي تحفظ بها الأمور الداخلية، ويدافع بها كل معتد على المستضعفين، وكل هذا منوط بالقدرة، وما لا يدرك جميعه لا يفوت ما يستطاع منه، وإن الإخلاد واليأس التام وعدم السعي في كل وسيلة يستدفع بها الأعداء لهو الهلاك الدائم والعذاب الملازم.

